هو مدمر، لان اي طرف، مهما كان قويا، لن يكون الا اضعف بكثير مما تتطلبه مجابهة الامبريالية؛ ولن تكون القوى التقدمية بمجموعها، بالتالي، سوى محدودة القدرة، سواء في مجال الدفاع عن نفسها وعن بلدانها، ام في مجال الكفاح المتعدد الجوانب، المتعلق بالقضية الفلسطينية. وإذا كانت القوى التقدمية محدودة القدرة، فيعني ذلك، ان الفراغ الذي تتركه، تملؤه القوى الاخرى غير التقدمية، اي القوى التي توظف حركتها في نهاية المطاف، بشكل عفوي او مقصود، لصالح توطيد القوى الامبريالية في المنطقة، وتعزيز الخندق المعادي للقضية الفلسطينية خصوصا، ويؤلف عمـوما خطرا ماحقا على الدول العربية، استقلالها، واقتصادها، بل ووجودها البشري. يكفي، لندرك ذلك، ان ننظر الى الحلول المطروحة حاليا على الساحة الفلسطينية؛ جميعها تعتمد على نوايا الادارة الامـيركيـة الطيبة، او على امكان ايقاظ «ضميرها» واقناعها، بشكل او بآخر عن طريق الحكومات الاوروبية الغربية الاخرى، بـ «عدالة» القضية الفلسطينية، وبضرورة عدم «التحيز» لطرف دون طرف، الخ. هذا يعني، من جهة، غياب الطرح التقدمي، ويعني، من جهة اخرى، تسليم القضية الفلسطينية، وكل ما يرتبط بها من شؤون المنطقة العربية، الى الادارة الاميركية (ففيها الخصام، وهي الخصم والحكم..).

كيف يمكن ان يوجد تحالف تقدمي؟ وهل يمكن ان يوجد؟ ربما في الوضع الراهن للامور من الصعب ان يوجـد تحالف حقيقي، وان كان بالامكان ظهور تحالفات (لا تحالف) صورية، ومؤقتة، بين طرفين تقدميين، او اكثر. وليس مرد ذلك، عموما، الى اختلاف نظري في الموقف بمقدار ما هواختلاف في «الموقع». قد يؤثر الاختلاف النظري، طبعا، ويحول دون التحالف بين طرفين تقدميين، او يزعزعه، إن كان قائما في فترة ما، ولكن ليس هو، عمليا، العقبة التي تحول دون قيام تحالف تقدمي حقيقي. بالعكس، يمكن ان يجد المرء في الادبيات الصادرة عن الاطراف التقدمية الكثـير من التشابه، ومن النقاط المشتركة، بل، اذا حذفنا الحملات المتبادلة المتضمنة في تلك الادبيات، نجد الكثير من حالات التطابق. الايمان بالكفاح المسلح، لا احد ينكره. الوقوف ضد الامبريالية والصهيونية، لا احد يتفوه ضده. التحالف مع الدول الاشتراكية والصديقة، لا احد يقول بعكس ذلك. عندما يحدث ان يهاجم طرف تقدمي طرفاً آخر، فانما يطعن في «اخلاصه»، ويخالفه في «تكتيكه»، وكلا الامرين، لا علاقة مباشرة لهما بالموقف النظري، بل ويدخلان في صميم استراتيجية التحالف التقدمية. عندما تفرض القوى التقدمية على نفسها استراتيجية تحالف حقيقيـة، لا معنى للكفـاح على صعيـد المنطقة من دونها، فان جميع الاطراف تكون، حينئذ، «مخلصة» في تقويم الآخرين وحريصة عليهم. لأنه، بمقدار ما يُسقط الطرف التقدمي الاطراف التقدمية الاخرى من حسابه، يصبح وحيدا، بل ويفقد شعبيته ايضا، اذا كانت له شعبية، لان الجمـاهـير تريد اعمالا ملموسة ونهجا منطقيا، ولا يمكن ان تسير مغمضة العيون خلف وعود خيالية، مهما تكن براقة، وخلف طرف تقدمي، يعلن نفسه وحيدا في الساحة، ولا احد غيره. ان الطعن بالطرف الآخـر يُنتج الطعن المضاد، وينتهي الامر بان تصدق الجماهير جميع الطعون وتفقد ثقتها بالجميع وتعزف عنهم. هذا ما يحدث، عمليا، اليوم! اذ اننا نجد الجماهير العربية عموما، اما في حالة عطالة، واما تتحرك بتأثيرات طائفية او محلية، اي بعيدة عن كل سمة تقدمية.

من جهة اخرى، اذا اصبح الطرف التقدمي وحيدا في الساحة، يصبح عاجزا، ولو خلصت نيته وكـان دافعـه للطعن بالآخرين مبررا الى هذا الحد او ذاك. عدا ذلك، مع من يتحالف الطرف التقدمي في حالة عزوفه عن التقدميين، او اسقاطه لهم من حسابه؟ عادة لا يسأل الطرف التقدمي